محاضرة القضية - المحاضرة العادية

التاريخ: 4-11-2024

الجزء الثاني من المساق: فلسطين كموقع استعماري

سابقًا، لم تكن فلسطين موجودة بالمعنى السياسي المعروف اليوم. ففي عام 1492، لم تكن هناك دول قومية مثلما هي الحال اليوم، لأن هذه الدول القومية تأسست بعد هذا التاريخ. لكن ما حدث في هذا التاريخ أثر بشكل واضح ومركزي علينا نحن، وخاصة على فلسطين. أصبح هناك ما يعرف بمركز أوروبا أو المركزية الأوروبية، أو ما يُعرف بالكشوفات الجغرافية، حيث كانت الإمبراطوريات تضم أراضٍ جديدة. ما حدث لم يكن فتحًا للعالم الجديد ولا اكتشافًا، بل كان استعمارًا، وهو أكبر حملة استعمارية في التاريخ. ومن خلالها تم التعرف على “العالم الجديد”، كما في حالة كولومبوس الذي كان يريد الذهاب إلى الهند لكنه وصل إلى أمريكا.

تأليه الذات وشيطنة الآخر وتطهير أوروبا من الأشرار أو الأغيار.

ملاحظة: الأغيار ليس بمعنى الصهيوني.

أيضًا كان هناك غزو للعالم.

أوروبا كانت في بداية تشكيل هويتها ما قبل القومية، بمعنى أنه لم تكن هناك شعوب بالمعنى الحالي، بل كانت بداية تساؤل الشعوب عن هويتها. لكن لم يكن بالضرورة أن يتحدث جميع الناس نفس اللغة ليكونوا شعبًا واحدًا. وهذا يعتبر جزءًا من تأليه الذات وشيطنة الآخر.

عندما تحدث تحولات سياسية كبرى، يحدث نوع من الملاحقة الداخلية، وأحيانًا تكون هناك استقرار، ولكن عندما تحدث خلخلة أو زعزعة، تتجاهل الحكومات شكلها وتقوم بتفعيل أجهزتها الأمنية لحماية نفسها. من ناحية أخرى، عندما تريد أن تعرف ذاتها، كان هناك شيء اسمه “الدولة”، وعندما يتم تساؤل هويتها، أصبح يُنظر إليها على أنها شعوبية، وظهرت ظواهر مثل الزندقة والشعوبية. الزندقة تعني الخروج عن الدين أو السياسة، بينما اليوم يتم تسميتها “الأجندات الخارجية” وهي شيطنة الآخر، وهذه كلها أعذار لفهم من هو الصديق ومن هو العدو.

قبل أن نؤله الذات يجب تعريفها، وقبل أن نشيطن الآخر يجب تعريفه أيضًا، وهذا يتطلب تعريفًا سياسيًا.

مكونات أو شروط تكون الهوية الفلسطينية:

من شروط أن يكون الشخص فلسطينيًا هو أن يتحدث العربية ويولد في فلسطين.

أوروبا بدأت تعرف نفسها كأوروبا.

الذات الأوروبية كانت تتمثل في “عبء الرجل الأبيض”، وهذا يُعتبر رسالة حضارية، مثل الإسلام الذي كان يعتبر وسيلة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

جميع الحضارات على مر التاريخ تدعي أنها حضارة عظيمة، ولكن بعض الحضارات تبرر فتوحاتها باستخدام مفاهيم “الأفضلية”.

التحولات في الأديان:

في البداية لم يكن هناك جنسية، وكان هناك دين، فعندما يغير الشخص دينه يشعر وكأنه محمي.

أوروبا كانت تعتبر نفسها “إله العالم” من خلال تقديس الغزو، أو جعل الناس يتعلمون منها.

كيف لنا كفلسطينيين علاقة بهذا التاريخ؟ تاريخنا لم يبدأ في عام 1917 مع وعد بلفور، بل هو تاريخ قديم جدًا. لكن في التاريخ نعبر عنه بطريقة مختلفة.

اليهود في أوروبا:

جزء من الأشخاص في أوروبا كانوا مسلمين، مسيحيين، ويهودًا، وغيرهم.

العدو اللاهوتي كان الدين، بينما كان هناك عدو آخر يتمثل في الدولة.

اليهود كانوا أقرب إلى أوروبا لأنهم كانوا جزءًا منها.

أوروبا تعاملت مع اليهود بشكل مختلف عن العرب، لأن العرب كانوا جزءًا من المنطقة، بينما اليهود جزء منهم بقي وتم ملاحقتهم في محاكم التفتيش.

التكوين الاجتماعي في أوروبا:

أثناء هذا الصراع، نشأت فئتان في البنية الأوروبية: المسلمون واليهود، وكانوا أقلية في أوروبا.

أوروبا كانت ترى اليهود على أنهم “شعب زائد” أو “زائف”.

كان يتم تعريف اليهود بناءً على مواطنتهم في المجتمع، وليس بناءً على دينهم، كما كان في العطل والمناسبات الدينية.

حالة اليهود كانت تبدو كما لو أنها ناتجة عن عدم الاندماج في المجتمعات التي بدأت في التحول إلى مجتمعات قومية وجنسية.

التعريفات القومية في أوروبا:

يتم تعريف الناس بمركزية أنفسهم، ولا يعرفون الآخر الذي ليس في مركزهم. لكن اليهود لديهم هذه التعريفات، مما يخلق مشكلة في الحقوق، حيث يشعرون بأنهم جزء من المركز ولكن دون أن يتم قبولهم بالكامل.

الزمن القومي والتحولات السياسية:

كانت أوروبا ترفض الجماعات الملونة والمغلقة، وهذا أدى إلى صدام بين الحصرية اليهودية والعنصرية اليهودية. حاولوا إيجاد مصالحة بين الحداثة اليهودية والأوروبية، وكان الجواب هو أن يجب أن يكون هناك استخدام واع للعقل، ولكن دون أن تمس بالسلطة.

الصهيونية والشيوعية:

الصهيونية ولدت في ألمانيا، وملاحظة: الشيوعية والصهيونية خرجتا من ألمانيا وتم تبنيهما في اللغة الروسية.

نتيجة لذلك، تصاعد العداء تجاه اليهود، الذين شعروا بأنهم خرجوا بقومية بلا دولة.

الحركة القومية بدأت تفكر في إقامة دولة لليهود، وكان لديهم حلان: الأول هو أن يكون لهم حل في أوروبا، لكنهم لم يعاملوا كقوم، ثم بدأوا يفكرون في إنشاء دولة في مكان آخر، بحيث يراهم العالم كدولة.

تفكير الصهيونية في فلسطين:

في عام 1897، تم تحديد مكان إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وكان هذا جزءًا من تحرك مستمر لفكر الحركة الصهيونية.